رواية هذا العدد

سرقة الجواهر المقدسة

(من مذكرات نات بينكرتون)

ان رواية هذا العدد ليست من الروايات الخيالية بل انها وقعت حقيقة و بطلها بينكرتون الامريكي الذي عاش ومات من عهد قريب في نيويورك

١ ـ السرقة الخفية

قال الراوي : حدث ذلك في السنة الأولى التي انشأت فيها مكتبي الخاص لاظهار السرقات التي يعجز البوليس عن اظهارها وكذلك لتعقب معتادي الاجرام وتسليمهم للقضاء بعد اثبات ارتكابهم للجرائم وما مضى على تأسيس مكتبي في نيويورك بضعة أشهر حتى طارت شهرته من أميركا الى اوربا وقد تمكنا في خلال هذه المدة القصيرة من اكتشاف سرقات خطيرة وكثر عدد الذين كانوا يطلبون مساعدتنا

وفي ٦ يونيه عام ـ ١٨ وصلتني رسالة برقية من سكرتير سفارتنا الاول في بطرسبرج المستر لويس ستيفارد

وكانت الرسالة مختصرة وهذا نصها : سافر فوراً لبطرسبرج . لأمر خطير ومستعجل وبعد ١٧ ليلة بلغت عاصمة الشمال

وقد دار بيني وبين المستر لويس في مكتب السفارة الفاخر الرياش حديث هام جداً

قال السكرتير : ان الطبقة العالية في العاصمة ورجال البلاط ودوائر الحكومة مضطربون اضطرابا شديداً لحصول سرقة فظيعة في قصر الغراندوق قسطنطين شقيق القيصر . وأن القصر المذكور الفخم يسمى هنا بالقصر المرمري لبياض بنائه ورونقه وهو يشرف على ميدان واسع وعلى نهر النيفا ثم ان الغراندوقة اليكسندرا ايوسيفوفنا أميرة متدينة متعبدة واتخذت في القصر غرفة خاصة للصلاة والعبادة زينتها حسب العادات الروسية بالايقونات والمصابيح وهي تبجل بنوع خاص ايقونة قديمة العهد جدا اهداها اليها القيصر نقولا الاول في يوم عرسها وهي مرصعة بالجواهر الكريمة الكبيرة الحجم . ومن منذ شهر سرق سارق ثلاث جواهر كريمة كبيرة من تلك الايقونة واعلم انه لا يجوز لأحد دخول غرفة الصلاة هذه الا لأفراد الأسرة والخدمة القدماء

الموثوق بهم . وقد بلغ القيصر نبأ السرقة فاحتدم غيظا وختم السكرتير كلامه بقوله:
أيها العزيز يتكبرتون : أرجوك ان تبذل جهدك لاظهار هذه السرقة
فسألته قائلا : لحظت من خلال كلامك أن الغرانده وقعه حزينة بسبب غير السرقة
فما هو سبب حزنها
ـ نعم . ان احد ابنائها الشاب الامير نقولا يسير سيرا رديئا وقد ذهب في اخلاعة كل مذهب وهو يستدين الاموال وينفقها بدون حساب . والشائع على الالسنة انه تعلق براقصة أميركية من بنات جنسنا ترقص في احدى قهوات الرقص الشهيرة وهي جميلة فتانة خلابة .
ـ هل استطيع أن أعرف اسمها ؟
ـ يسمونها فاني لير
فاخرجت دفتر مذكراتي وكتبت اسمها ثم قلت : يلزمني أمران : أولا مقابلة السكونت شوفلوف والحصول منه على امر لادارة البوليس لتقدم لي المساعدة عند الاقتضاء وثانيهما زيارة القصر المرصي
فهز السكرتير كتفيه وقال : ان ما تطلبه على جانب عظيم من الصعوبة
ـ ان الامبرة مدينة فقدمني لها بصفة واعظ أميركي شهير
ـ انها لفكرة حسنة جداً ولنشرع من هذه الساعة بالعمل

٢ ـ في القصر المرصي

انني من سكان مدينة نيويورك العظيمة ذات المباني الضخمة الانيقة ومع هذا فان فخامة القصر خلبت لبي ولكني حاولت ان لا أشغل افكاري به لأني قادم لمهمة خطيرة . وقد خدمني الحظ فانه عند مدخل غرفة الاستقبال قابلت وجهاً لوجه شاباً متأنقا يرتدي بذلة ضابط ذات بنود بلور وكان وجهه مشوهاً تدل ملامحه على الافراط في الشهوات والملاذ وفوق ذلك فانه وقح فاوقفني ثم جذبني بيده وفسح الطريق لشاب كان سائراً خلفه مرتديا ملابس المترل ثم أن الشاب وجه الي التفاته وسأل عن اسمي وكلمني بلغة انكليزية صحيحة
وقد أخبرته عن حرفتي الدينية

فضحك وقال : ان والدتي تحب العظات الدينية ثم استطرد الكلام وقال : وما هو عنوان عظتك اليوم ياحضرة المبشر ؟

والحق يقال انه كان يهيأ لي بكلامه فتحملت اهانته بالصبر ولجبنه سيكون موضوع عظتي : « السارق في الليل »

فقفز الشاب من أمامي كالملسوع وظهر لي انه اصفر وارتعش ودنا منه اذ ذاك الشاب وتأبط يده وسارا معنا لايلويان على شيء وقد عرفت بعد ذلك ان الشاب كان الغراندوق نقولا ومعه يلوره القبطان فارباخوفسكي

٣ ـ فاني لبر

قلبت صفحات مذكراتي المدون فيها اسماء مجرمي نيويورك وبحثت فيها بدقة عن اسم لبر او اسم فاني فعثرت في احدى الصفحات بين اسماء المشتبه فيهم اسم « فاني لبركين » وانها سلبت أموال شاب من ذوي الملايين ثم اختفت من وجه البوليس والقضاء

وفي الحال شرعت أجمع المعلومات عن الراقصة فاني لبر في بطرسبرج فعلمت أنها ترقص في قهوة رقص « الكازار » وانها أحرزت شهرة واسعة والاقبال عليها عظيم جداً وانها ابتاعت داراً فخمة في احد الشوارع الشهيرة . ولما وقفت على هذه المعلومات تأهبت للعمل .

وعند الساعة الثانية بعد الظهر ركبت عربة فخمة يجرها جوادان مطهمان فسارت تنهب الارض نهباً ووقفت أمام منزل الراقصة في شارع سرجيوس ثم خرج منها شاب غاية في الاناقة هو أنا وقرعت جرس الباب .

وما هي الا فترة حتى انفتح الباب نصف فتحة ووقف أمامي رجل زنجي متوسط السن طويل القامة ضخم الشفتين قبيح المنظر

فقلت له أوصل هذه البطاقة للمس فاني

فهز البربري رأسه وقال : ان المس فاني لا تقابل أحداً في منزلها ولكنه بعد ان ألقى نظرة على البطاقة وكان مكتوب عليها

فيليب سدني
وكيل م . أستور
نيويورك

وأستور اسم رجل أميركي وأحد ملوك الثروة . فلما وقع نظر الخادم الزنجي على البطاقة وقف مفكراً ثم قال : انتظر وقفل الباب وسار الى الداخل ثم عاد والابتسامة على وجهه وقال :

ان المس تدعوكم اليها

وسار أمامي وأدخلني غرفة الاستقبال المفروشة بأفخر الرياش وأثمنه وما استقر بي الجلوس حتى دخلت علي امرأة نحيفة ذات جمال فتان وعينين نجلاوين جذابتين وشعر ذهبي براق

فانحنيت أمامها مسلماً وقلت : اني أيتها المس أبدأ بالعمل الذي حضرت اليه : اني احد اصدقائك وزوارك القدماء عند ما كنت ترقصين في قهوة الاولمبرادو في نيويورك وبعد ان تركت تلك القهوة بحثت عنك في كل مكان فلم أجدك وبالرغم عن تغيير اسمك فقد وجدتك بعد اتعاب شاقة تحملتها . ولما عرفتك في نيويورك كنت فقيراً والآن اصبحت غنياً عظيما واني اضع كل ثروتي تحت قدميك لاني أحبك حباً مفرطا وارجو ان تقابلي حبي بالحب ولا ترفضي غرام محب يرّح جسمه الهوى ودفعه قلبه الى ركوب متن البحار والحضور اليك

ثم أريتها شكا يبلغ جسيم على أحد مصارف نيويورك فلما وقع نظرها عليه زال من نفسها التردد ورشقتني بابتسامة معنوية من ثغرها الجميل

وبعد ساعة أمضيناها في أحاديث الغرام والوجد والهيام جلسنا حول مائدة مزدانة بالازهار العطرة وزجاجات الشمبانيا

وبعد أن شربت عدة كاسات من الشمبانيا أخذتني نشوة الطرب والسرور وجعلت أهرف وقلت لها : أنا أعلم أنك من هواة الجواهر والحجارة الكريمة وفي سفري الى بطرسبرج عرجت على أمستردام وزرت مخزن الجوهري فان هوفين واشتريت منه المستر أستور حجر برلنت كبير الحجم نادر الوجود صافي الماء يبلغ

تمنه الوفا من المدولارات

ولو كان هذا الحجر يخصني لكنت زينت به في الحال جيدك الفتان

فتناولت من يدي العقد المعلقة فيه تلك الماسة النادرة ولبسته في عنقها وأبرقت عيناها بريق الدهش والطمع والحسد . ثم تأوهت وأعادته الي والأسف آخذ منها كل مأخذ

فتناولته من يدها ووضعته في كيس نقودي ثم وضعت الكيس في جيبي

وبعد هذا أخذنا في تناول الطعام وكنت اشرب الشمبانيا كما أشرب الماء وكانت فاني كلما فرغ كأسي تملأه بسرعة وأخيراً استدعت الزنجي وقالت له :

ـ أحضر زجاجة من البكير العطر من مشروبي الخاص الذي أحبه

ـ فأخذ رأسه وتبادل معها نظرات لؤم ذات معان كثيرة وما هي الا فترة حتى عاد الزنجي بزجاجة ووضعها على المائدة أمام سيدته التي قالت لي : اشرب قليلا من هذا الشراب مع القهوة ثم سكبت سائلا ياقوتياً في كأسي

ـ فقلت لها وأنت يا مس

ـ وأنا أشرب معك طبعاً

وملأت لنفسها كأسا صغيراً وأدنيت أنا الكأس من شفتي وقلت سائلا . هل ما زالت عربتي واقفة أمام الباب ؟ وما أجمل أن نركبها الآن ونخرج للرياضة في ضواحي المدينة

فوقفت فاني وأطلت من الشباك لتنظر العربة وفي هذه الفترة القيت ما في كأسي في أصيص الزهر القريب مني ثم عادت فاني وجلست على المائدة وقالت :

ما أجمل فكرتك : أنا الآن سنركب العربة ونذهب الى الجزائر للرياضة والحق يقال ما وقعت عيناي على أجمل من جوادي عربتك وفي خلال نزهتنا ستروي على مسامعي أخبار نيويورك وأخبار حبك القديم لي

ولما خرجت فاني من الغرفة ألقيت نظرة على كأسي الفارغة فرأيت في قعرها بواقي مسحوق أبيض راسب فعرفت انه سم قاتل يقتل شاربه في مدة لا تزيد على ربع ساعة

فنهضت وخطوت عدة خطوات متثاقلة وتظاهرت بتشنج أعصابي وألقيت

نفسي على المقعد المستطيل الوثير الذي ثم شخرت ونخرت وأصعدت أنيناً شديداً خمدت على اثرها أنفاسي وغدوت بلا حراك

وما هي الا فترة حتى ظهر من وراء الباب رأسان : أحداهما شقراء والأخرى سوداء فقال دجو بصوت منخفض لقد هلك

ودنت فاني مني ونفرست في وجهي ثم تحولت عني وقالت بصوت الآمر : أخرج يادجو كيسه فأخرجه من جيبي وجعلا يعدان ما فيه والسرور آخذ منهما كل مأخذ ثم قالت له : احمل جثته واخفها في القبو موقتاً وأننا سنقتسم الغنيمة

فقال دجو يجب قسمتها الى قسمين متساويين

فقال صوت ثالث بل الى ثلاثة أقسام ولم يكن صاحب الصوت غير فارياخوفسكي يلوو الفراندوق نقولا

وعندما رأى هذا الناسة قال : أنها ماسة نادرة غالية الثمن دعونا نقابلها مع ماسات الثلاث وأين هي احضروها حالا وأطفئوا هنا وضرب برجله أرض الغرفة الخشبية

واذ ذاك استل دجو خنجراً حاداً ورفع بطرفه خشبة من اخشاب أرض الغرفة وأخرج من تحتها علبة

اذ ذاك صرخت من ورائهم صرخة اهتزت لها أركان الغرفة وقلت : أرفعوا ايديكم جميعا الى فوق ووقفت أمامهم واشهرت في وجوههم مسدسين بكلتا يدي وقلت لهم مخاطباً : عرفت كل شيء والمقاومة لا تفيدكم شيئا وبعد نصف ساعة كان الثلاثة في دائرة البوليس حيث زجوا في السجن

وقال لي على أثر ذلك المستر ستيفارد سكرتير سفارتنا : لقد أنهيت العمل بسرعة متناهية وان الكونت شوفالوف مسرور منك جداً وناولني على أثر كلمات الثناء هذه رزمة كبيرة من الاوراق المالية

ثم دعتني الفراندوقة اليكساندرا الى قصرها وأثنت علي ثناء جميلا وكافأتني بدورها .

وقد ذاع أمر اكتشاف هذه السرقة التي تمت باتفاق ابن الفراندوقة ويلوره وبلغ خبرها القيصر فأمر باستدعائي اليه ولما مثلت بين يديه أثنى علي ثناء جميلا وقد عدت ادراجي بعد هذا الى نيويورك وقد طارت شهرتي